

الحياء في منظومة القيم الإسلامية والواقع المعاصر - مقارنة معرفية تكاملية -

يوم 9 ماي 2023

الاسم: ليلى
الوظيفة: أستاذة
الهاتف: 0674523896
اللقب: مدور
الرتبة: أستاذ محاضر*أ* المؤسسة: جامعة باتنة 01
البريد الإلكتروني: Leila.meddour@univ-batna.dz

عنوان المداخلة:

التربية الذوقية ودورها في تعزيز قيمة الحياء لدى الشباب (قراءة سيكولوجية بين مبدأ التخلق
ومفارقة التخلف)

المحور الثالث: استراتيجيات تعزيز قيمة الحياء

ملخص المداخلة

إن تراجع تمثيلات الأفراد للقيم في المجتمعات عامة والمجتمع العربي المسلم خاصة ليس وليد الصدفة، بل ناتج عن عدة عوامل تربوية، اجتماعية، إعلامية وحتى نفسية.

هذه التمثيلات التي يكتسبها الفرد من خلال التنشئة، التربية والتعليم قد أثرت على مختلف قيم الأفراد وبخاصة قيمة الحياء والاحتشام، والتي تراجع مستوى تمثلها وتقمصها في سلوك الأفراد قولا وعملا وحتى انفعالا، وهذا قد يعزى إلى النظرة القاصرة في فهم مدلول قيمة الحياء على أنها قيمة رجعية مثالية لا يمكن لمن يتحلى بها أن يساير المجتمعات المتفتحة، هذه الرؤية الأخيرة أكيد غير صائبة وتوجه مغلوط يجب مراجعته وتصحيحه لدى الأجيال. وهذا لن يتأتى إلا من خلال التربية الذوقية، على اعتبار أن الحياء كقيمة فطرية لدى الفرد يمكن تنميته وتعزيزه في ظل هذه التغيرات الاجتماعية المتسارعة من خلال غرس قيم التدوق والجمال لدى الناشئة.

لذا حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على استراتيجيات تعزيز قيمة الحياء لدى الشباب، والآليات التربوية المناسبة لتربية الذوقيات والجماليات، لأنها الصورة الحقيقية لتجسيد الحياء في مختلف المجتمعات.

1-مقدمة وإشكالية الدراسة:

المتتبع لما يحدث في عالمنا اليوم يجد أنه يمر بمرحلة جديدة، وهي مرحلة ما بعد الحداثة، و التي من أبرز معالمها ظاهرة العولمة، و ما رافقها من تطور هائل في المجال المعرفي والمعلوماتي، و في مجال تكنولوجيا الاتصالات التي ساهمت في انكماش العالم زمانيا و مكانيا، مما دعا البعض إلى وصفه بالقرية الكونية Global village، و لم يكن غريبا أن يتأثر مجال القيم الاجتماعية بالمستجدات و التغيرات العالمية هذه، و كان من نتائج هذا التأثير أن انحصرت قيم وظهرت قيم جديدة، فالعولمة كما يؤكد الباحثون بالرغم من مظهرها الاقتصادي و السياسي، إلا أن هدفها النهائي هو التغيير في الجانب الاجتماعي و الثقافي للمجتمعات البشرية، بما في ذلك الهوية وأنماط العيش و دلالات القيم وكيفية ممارستها.

ولعل المؤسسة التربوية (المدرسة) هي الرحم الذي تتخلق فيه ملامح هوية الأفراد وقيمهم الاجتماعية واتجاهاتهم، وهي أكثر المؤسسات التربوية تأثرا بهذه التحولات، فقد أصبحت وظيفتها

الاجتماعية بالغة التعقيد نظرا لتعاظم دور القوى والمؤثرات غير المقننة (الاعلام ومواقع التواصل الاجتماعي الكثيرة).

وبما أن هدف التربية في أغلب المجتمعات هو تحقيق النمو المتكامل للفرد في جميع النواحي الجسمية، النفسية، وحتى الاجتماعية وصولا إلى تحقيق التوافق بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه، فهي مصدر هذه القيم وهذه المعايير التي تترجم في سلوكيات الأفراد.

وتتأثر معايير تربية الأفراد بالعديد من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحتى الدينية، من خلال تغيير المضامين التربوية بما يتماشى مع التوجه السياسي والاقتصادي للدول، هذه الأخيرة التي تتحكم في نوعية القيم التي يجب غرسها في الأفراد، من خلال التربية والتعليم كمصدر أول من مصادر إلزام تمثل القيم للأفراد، وصولا إلى المواطن الصالح الذي تريد تكوينه.

ويأتي موضوع القيم ليتصدر أهم الموضوعات التي تتعرض للتغيير والتعديل بما يتماشى وفلسفة التربية والتعليم، وبخاصة قيمة الحياء، الذي أصبح مدلولها مغلوط وبعيد كل البعد عن المفهوم الصحيح إذ يعتبر الحياء في موروثنا الاجتماعي المستمد من الدين والعرف الاجتماعي من القيم التي يجب ترجمتها سلوكيا في حياتنا اليومية (حدادو وعمراني، 2022).

وقد ساهمت في السابق التربية النظامية ببرامجها ومحتوياتها الهادفة إلى صقل هذه القيمة الفطرية في الإنسان، من خلال الدور الذي تلعبه في تربية الناشئة على تبني سلوكيات الاحتشام، وحتى سهر العاملين (معلمين ومربين وأولياء...) في هذا القطاع على غرسها قولا وفعلا في سلوك الأفراد لوجود نماذج محددة لخلق الحياء ومصادر مضبوطة له.

وقد عزز هذا الدور تكامل الهدف من التربية والتعليم ووضوحه لدى كل من مؤسسات التربية والتعليم (التربية النظامية)، ومؤسسات التربية الأخرى (التربية غير النظامية) متمثلة في أولها الأسرة، الحي، الكتاتيب، المسجد، الكشافة... الخ.

ولكن مع تراجع دور هذين النوعين (التربية النظامية وغير النظامية) وظهر نوع ثالث من التربية (التربية الموازية) تراجع بدورها مستوى تمثل الأفراد لقيم الحياء والاحتشام بسبب ما ينشر من مفاهيم وسلوكيات وأفكار خاطئة حول قيمة ودور الحياء في تنمية وبناء المجتمعات.

إذ تشير الإحصاءات والدراسات أن المجتمعات تتطور وينمو اقتصادها كلما كان هناك انفتاح على معايير المجتمعات الأخرى، وكلما كان هناك تشارك في ممارسة عادات وثقافات الشعوب الأخرى ومسايرة التطور التكنولوجي بكل ما يحويه من تفتح، تعايش، هذه المفاهيم التي توضع في قالب من الخصوصية في ممارستها تبعا لقيم ومعايير المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، وهذه القيم يتمثلها الأفراد في سلوكياتهم الاجتماعية ويمارسونها.

وقد أشارت دراسة (العربييات والمقوسي، 2019) إلى الأثر القوي للقيم الدينية في ضبط السلوك الاجتماعي وتحديده للأفراد، وأشارت النتائج إلى وجود علاقة ارتباطية ايجابية بين القيم الدينية وضبط السلوك الاجتماعي، وعدم وجود فروق في قوة العلاقة تعزى لأثر الجنس والتخصص، وأوصت الدراسة بضرورة قيام الجامعات بتعزيز القيم الدينية لدى طلبتها من خلال الخطط الدراسية والندوات والمحاضرات والأنشطة الطلابية.

وتأتي مفاهيم التربية الموازية من مثل الانفتاح الانطلاق العدل والمساواة بين الرجل والمرأة وحتى معنى الجمال (جمال الروح وجمال المظهر)، الموضة، التعايش... مفاهيم لتجعل من بعض القيم تتراجع في ممارستها اجتماعيا، فنجد سلوكيات الأفراد تغيرت بسبب الفهم الخاطئ لتبني هذه القيم، حيث كان الجمال في السابق متعلق بالاحتشام والستر والتعفف، ولكن مع التأثير بهذه القيم الغربية النسبية تراجع المفهوم ولخص للأسف الشديد في العري والابتذال والتصنع والموضة والكلام غير اللائق والعادات والسلوكيات الخاطئة التي انتشرت في أوساطنا التربوية والمجتمعية انتشار النار في الهشيم. ما صنع لنا أفرادا تافهين ومعايير ومفاهيم دخيلة على مجتمعات لها خصوصيات التمثل في القيم.

إنَّ القيم الدينية قيم دافعة للإنسان إلى العمل الجاد من أجل تحقيق ذاته وحماية جماعته وتدعيم وطنيته وتقوية عقيدته (رحالي، 2007).

وتُشكل القيم الدينية ومنها قيمة الحياء للفرد دوافع مُحركة لسلوكه ومحددة لهذا السلوك، فهي من الأبعاد المهمة المكونة لشخصيته، تلعب دورا فاعلا في تكامل تلك الشخصية، ويمكن الاستعانة بها في فهم سلوكه، فهي من القيم التي تسمو بالإنسان وتأخذ بيده وترتقي بقدراته، وتُضيء له السبيل، وتُوجه عقله،

وُحرره من الأنانية والذاتية؛ وتقوده نحو الفلاح في الدنيا والآخرة لأنها قيم روحية صالحة لكل زمان ومكان، نابعة من العلم المطلق للخالق عز وجل (السويدي، 1987، ص22)

وبناء عليه تبرز أهمية منظومة القيم الدينية المستمدة من المبادئ والأخلاق الدينية والأحكام العقدية والشرعية الضابطة لسلوك الفرد المسلم، فهي مؤشر إيجابي للحكم المسبق على السلوك، وتعديل الدوافع الذاتية، وضبط سبل الحياة العملية للمسلم، وصولاً إلى التمتع باستقامة السلوك، والشعور بالرضا والسعادة، فهي منطلق للتطبيع والتكيف والتوافق النفسي والاجتماعي، ووحدته التنشئة الاجتماعية، وبناء المجتمع المسلم الفاضل، القائم على الوحدة والتماسك الروحي.

فقيمة الحياء والاحتشام ترتبط بمظاهر الضبط الاجتماعي ارتباطياً وثيقاً، باعتبار أن الدين من أسس بناء النظم الاجتماعية، وتعتبر قيمة الحياء من بين هذه القيم التي تجعل الفرد ينمو اجتماعياً وتربوياً تبعاً لمدى ممارسة هذه القيمة إيجاباً أو سلباً.

ولعل من بين الآليات التي تجعل الأفراد يحدون عن هذه الممارسات وتبني هذه المفاهيم الخاطئة عن الاحتشام والحياء إعادة الاعتبار لمفهوم تربية الجمال والذوقيات خاصة بالنسبة لقيمة الحياء. وقد اهتمت التربية على تنمية ذوق الإنسان وتنشئته على حب الجمال وتقديره في كل مظهره، فالشعور بالجمال أكبر نعمة، وتربية الذوق خير ما يقدم إلى الناشئة حتى من ناحية تقويم أخلاقه، فإن الذوق الجمالي إذا شاع في مكانٍ شاعت فيه السكينة والطمأنينة، ونعومة المعاملة وجمال السلوك، وإن انعدم في مكان خشنت المعاملة وساء السلوك وكثر هياج الأعصاب واضطرابها (شعبان، 2016، ص25).

لذا حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على مفهوم التربية الذوقية ودورها في تعزيز قيمة الحياء لدى الأفراد على اعتبار أن الحياء ذوق يمارس بمدلول مفاهيمي ومعرفي لدى الأفراد من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما المقصود بالتربية الذوقية لدى الأفراد وبخاصة الشباب في المجتمع المسلم؟
- ما المقصود بالحياء لدى الأفراد وبخاصة الشباب في المجتمع المسلم؟
- كيف تنمي تربية الذوقيات قيمة الحياء عند الأفراد؟
- ماهي آليات تجسيد كل من التربية الذوقية والحياء في المضامين التربوية؟

2- أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أهمية الموضوع الذي تدرسه (الحياء والتربية الذوقية)، لأنها تهدف إلى تعريف النسق القيمي السائد في المجتمعات، وكيف يتأثر بمفاهيم أخرى بمختلف الفئات، مما يعني التعرف على موجّهات الفعل الاجتماعي والسلوكي، والتعرف على المبادئ التي يتمسك بها الأفراد صراحة أو ضمناً، وهذا النسق يعد بمثابة أحد رموز المجتمع وصورته في عقول أفرادها، إنه بمثابة الإطار المرجعي الذي يوصل الفعل الاجتماعي إلى غاياته وأهدافه، وتصبح دراسة قيمة الحياء من الأهمية بمكان، سيما في عصر العولمة وتنامي موجاتها وما رافقها من تطورات هائلة في مجال المعلوماتية، و ما أحدثته من تأثير في النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع بشكل عام، و النسق القيمي بشكل خاص.

إضافة إلى نقص الدراسات السوسولوجية والسيكولوجية في مجتمعنا التي تناولته، نظراً لما تمثله هذه القيمة من أهمية بناء للمجتمع وإلى ما لها من تأثير في مكوناته، ومعدلات تغييره في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية، وبالتالي إثراء المعرفة العلمية وإعطاء دافع وحافز للباحثين للاهتمام بهذا الموضوع، وتوسيع مجال البحث فيه.

3- أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:

- التعرف على مفهوم التربية الذوقية ودلالاتها لدى الأفراد وبخاصة الشباب في المجتمع المسلم.
- التعرف على مفهوم الحياء ودلالته لدى الأفراد وبخاصة الشباب في المجتمع المسلم.
- الكشف عن آليات تجسيد كل من التربية الذوقية والحياء في المضامين التربوية.
- وعلى مستوى أبعد تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم القيم السائدة في أوساط الشباب وكيف يتمثلونها اجتماعياً، معرفياً وسلوكياً.

4: التربية الذوقية:

4-1- مفهوم التربية الذوقية ودلالاتها لدى الأفراد وبخاصة الشباب في المجتمع المسلم:

4-1-1- مفهوم التربية ودلالاتها:

ورد للتربية على السنة وأقلام المفكرين تعريفات عديدة مختلفة، "أفلاطون" يرى بأن الغرض من التربية هو أن يصبح الفرد صالحا في المجتمع، وتربيته هي غاية بالنسبة لغاية كبرى هي نجاح المجتمع وسعادته، وتبعاً لذلك فقد عرفها بأنها: "إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال والكمال، أما" أرسطو "تلميذ أفلاطون فيرى بأن الغرض من التربية يتلخص في أمرين، أولهما أن يستطيع الفرد عمل كل ما هو مفيد في السلم والحرب وثانيهما أن يقوم الفرد بكل ما هو نبيل وخير من الأعمال، وهو في سعيه لذلك يصل إلى حالة من السعادة، وبناء على ذلك عرفها بأنها "إعداد العقل لكسب العلم كما تعد الأرض للنبات والزرع." لم يحصر ابن سينا مهمة التربية بإعداد الفرد للحياة الأخروية فقط، بل جعلها دينية ودينية في آن واحد، فإلى جانب تدريس القرآن ومعالم الدين ومكارم الأخلاق، دعا إلى تدريس رسائل الخطاب والحساب وتدريب الصبي على صناعة تناسب طبيعته وتمكنه من كسب عيشه مستقبلاً، فالتربية عند ابن سينا "الإعداد للحياة الدنيا والحياة الآخرة."

أما "ابن خلدون" فذهب إلى مراعاة عقل المتعلم واستعداده والسير معه من السهل إلى الصعب، لأنه يرى أن العقل ينتقل من المحسوس إلى المعقول، وأن الطريقة الصحيحة في ذلك تبدأ باستقراء الأمثال الحسية واعتماد المحاور والمناظرة، رافضاً فكرة الحفظ وتلقي المعلومات. (صوكو، 2009، ص 24) ومن هنا نرى بأن التربية عند ابن خلدون يجب أن تهتم أساساً بالعقل والمحسوسات والحوار بدلاً من الحفظ والتلقين.

أما التربية عند "أرازاموس" تستهدف تربية الناشئين على التقوى والفهم، كما تنمي الفرد لكي يستطيع القيام بمهام الحياة التي يحياها في المجتمع حياة سعيدة إلى أقصى درجة " (شبل، محفوظ، 2002، ص ص 18-19)

وبهذا المعنى فإن التربية عند "أرازاموس" ذات أهداف دينية وأخلاقية عقلية واجتماعية وجسمية. أما "جون جاك روسو" فيرى بأن التربية تهدف إلى تهذيب قوى الطفل العقلية وأن تجعله قادراً على تثقيف نفسه بنفسه، ومن هنا قد اهتم بطبيعة الطفل وخصائص النمو والثقة به، وأهمية التربية البيئية والنشاط الذي يقوم به الطفل.

أما "إيميل دوركايم" فيرى بأنها "عملية التنشئة الاجتماعية المنظمة للأجيال الصاعدة"، وهو بهذا يقترح أن تقتصر التربية على التأثير الذي تمارسه الأجيال الراشدة على تلك التي لم تنتهياً بعد للمشاركة في الحياة الاجتماعية.

أما "كارل مانهايم" فيرى بأنها إحدى وسائل تشكيل السلوك الإنساني، لكي تتلاءم مع الأنماط السائدة للتنظيم الاجتماعي. أما "جون ديوي" فيرى أنها "كافة السبل والعمليات التي ينقل بها مجتمع ما ثقافته المكتسبة وأهدافه إلى أجياله الجديدة، بهدف استمرار وجوده ونموه،" وبذلك فإن معنى التربية كما صورها "جون ديوي" في عقيدته التربوية، تتلخص في أنها ظاهرة طبيعية في الجنس البشري منذ بدء الخليقة، وبواسطتها يصبح وريثاً لما حققته الأجيال السابقة من حضارة للإنسانية، وأنها تتم بصفة تلقائية (التربية غير المقصودة) عن طريق المحاكاة، أما التربية المقصودة (المدرسية) فتقوم على معرفة نفسية الطفل من جهة، ومطالب الواقع الاجتماعي من جهة أخرى (شبل بدران، 2003، ص 25)

من خلال ما سبق نرى بأن التربية تفيد معنى التنمية، وهي تتعلق بكل كائن حي النبات والحيوان والإنسان، ولكل منها طرائق وأساليب خاصة لتربيته، والملاحظ أيضاً أن هذه التعريفات تتفق على أن التربية عملية اجتماعية ديناميكية، و وسيلة المجتمع للضبط الاجتماعي الذي يعمل على تماسك الأفراد داخل البيئة الاجتماعية، كما أنها ليست وسيلة لتحقيق غايات ثقافية محددة، مثل تقدم الإنسانية أو التخصص المهني، وإنما هي عملية اجتماعية متكاملة تهدف إلى إعداد أفراد المجتمع للحياة الاجتماعية، و تتضمن عملية الإعداد هذه تدريبهم على ممارسة أدوارهم الاجتماعية المتوقعة منهم بنجاح في مجتمعهم.

واستناداً على ذلك نصل إلى تعريف شامل لمفهوم التربية وهي "التربية تعني إعداد الإنسان المسلم في الدنيا والآخرة إعداداً كاملاً من الناحية العقلية والأخلاقية والاجتماعية في جميع مراحل نموه، في ضوء القيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام.

4-1-3 مفهوم التربية الذوقية ودلالاتها:

تعرف التربية الجمالية أو تربية الذوقيات تربوياً بأنها الطرق والوسائل التي تتخذها المؤسسات التعليمية لتنمية الشعور الجمالي لدى المتعلم حيث أنها تحوي على ركائز عدة علمية وعملية لممارستها مما

يجعلها تحقق الغاية التي أعدت من أجلها والتي يستفيد منها الطالب ويكتسبها (نجلاء عطية وعبد الرحمن وآخرون، 2019، ص 167).

ومن منظور سوسولوجي هي عملية مقصودة تهدف إلى تربية الحواس حتى يستجيب الفرد للجمال فتكون لديه انطباعات تظهر في ممارساته وأفعاله لتنمية قدراته الذاتية والعلمية العملية (محمد وصادق، 2008، ص 26).

ومن منظر سيكولوجي هي تلك التربية التي تهدف إلى إنباء صفة الجمال الكامنة في النفس والتي تحدث من خلال تقدير الجمال وإنتاجه (عمار، 2016، ص 45).

فالتربية الذوقية عملية تُكسب الشخص الاستمتاع بالجمال وتذوق الحسن من الأشياء والأقوال والأعمال، وأساس ذلك سلامة الذوق الفطري، وتعهد النفس بالتهذيب والتأديب وتحسين الأخلاق وترقية الأدب، وفي الكون آيات مبهرات من جمال صنع الخالق سبحانه، تحتاج من الإنسان أن يتأملها، وأن يربي نفسه وغيره على النظر والتمعن فيها.

والإنسان بطبيعته الذوّاقة يشعر بحاجته إلى الاستمتاع بالجمال، فذلك يخفف من توتره، ومن ضغوط الحياة، ويضفي عليه نضارة وحيوية ونشاطاً، تعينه على مواصلة رسالته في الحياة والنجاح فيها.

ولقد أكد المربون أهمية التربية الذوقية لدى الصغار والكبار على السواء، ومن ثمّ، وجب علينا أن نهتم بتربية الذوق لدى الأطفال منذ الصغر

يقول المربي الألماني "هربارت سينسر": "من لم يعتدّ في صغره التجوال بالخلاء، وتنسيق مجموعات من النباتات، صنّع عليه أن يفقه ما انطوت عليه المروج الخضراء، والحقول الزهراء، ورائق الشعر، ورائع النظم".

وقال بعضهم: "إن عدم تذوّق الجمال منذ الصغر، وإهمال تربية عاطفة حب الجمال لدى الناشئة تفقدهم السعادة، وتخدم فيهم شعلة الذكاء، وفي ذلك إضرار بالغ بأخلاقه وسلوكياته، كما أنّها تعوق نضج الشخصية".

4-2-التذوق وجمال الكون: قد يُحاط الإنسان بلوحات جميلة طبيعية تفيض جمالاً، سواء في الأشياء أم الأقوال أم الأعمال، لكنه لا يستمتع بهذه الأشياء؛ لأنّه لا يتذوق الجمال، ويرجع ذلك إلى ضعف التربية الذوقية الجمالية لديه، وفي مثل هذا الشخص يقول الشاعر: **والذي نفسه بغير جمالٍ *** لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً.**

إنّ الشرع العظيم قد أولى التربية الذوقية اهتماماً كبيراً، فدعا إلى التحلي بالذوق الجميل في كل مناحي الحياة، وكان رسولنا الحبيب (ﷺ) قدوة لأصحابه في الخلق وجميل السلوك. ذلك أنّ التربية الذوقية تربي في الإنسان الذوق الرقيق، والخلق الراقي، وترزع فيه الحس السليم، بالإضافة إلى تأثيرها العظيم في مجالات العلاقات الاجتماعية، وكسب حب الآخرين والوصول إلى قلوبهم وعقولهم.

ومما يعلى من شأن التربية الذوقية الجمالية، أنها السبيل إلى معرفة الخالق، وإدراك جميل صنعه، وحسبنا أن نقرأ قول الله تعالى في وصف لوحة كونية غاية في الجمال والعظمة، يستدل من خلالها على قدرته سبحانه وتعالى، وعلى تحقق آياته التي وعد بها عباده، يقول سبحانه: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ * تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبَالٍ وَجَبَّ الْخُوصِيبُ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) (ق/ 6-11).

وهذا الكون من سموات مرفوعات وأراض ممدودات، وما فيهما من جمال وتناسق وترتيب دقيق، إنّما يشكل لوحة جميلة من صنع الخالق، وقد أخبرنا رسولنا الكريم (ﷺ) عن رب العزة: "إنّ الله جميل يحب الجمال" (تركي، 2003، ص ص 210-2012).

-الذوق عند الفلاسفة: لقد اهتم العلماء باختلاف تخصصاتهم بالتربية الذوقية الجمالية؛ إذ اهتم بهذه القضية الفلاسفة المسلمون وغير المسلمين، وتحديثاً عن القيم الإنسانية والمثل العليا، كالحق، والخير والجمال. إلخ، وجعلوها مرامي وغايات استراتيجية يستهدف الإنسان تحقيقها، واعتبارها منهجاً لحياته.

-الذوق و علماء العقيدة والمنطق: كما تناول علماء العقيدة وأصول الفقه والمنطق قضايا الحسن والقبح في الأفعال والأعمال والأشياء، وبحثوها، ودققوا فيها تفصيلاً، فنزّها الله عزّ وجلّ عن كل قبيح ونقص، وأثبتوا له سبحانه الحسن والكمال، وبناء على ذلك، بينوا المفاهيم والأسس المرتبطة بالذوق في السلوك الفرد والجماعة، وميادين العلاقات الاجتماعية.

- الذوق وعلماء التربية وعلم النفس: كما تحدث علماء التربية وعلم النفس عن التربية الذوقية وتهذيب الوجدان، فقد قسم "بنجامين بلوم" الأهداف التربوية إلى ثلاث مجالات:

أ- المجال العقلي المعرفي: ويعبر عن المعلومات والمعارف التي يريد المربي إكسابها للمتعلمين، كما يعبر هذا المجال العقلي عن مهارات التفكير وأنماطه التي يريد المربي إكسابها للمتعلم.

ب-المجال المهاري: ويعبر عن الأداء اليدوي والحركي والجسمي، ومهارات الخط والنطق المراد إكسابها للمتعلم.

ج-المجال الوجداني: وهو المجال المشتمل على القيم، والعواطف، والمشاعر، والأحاسيس، والمثل، والأخلاقيات، ومهارات التذوق الفني والأدبي، والأخلاقي، والسلوكي.

وهذا يعني أن علماء التربية وعلم النفس قد خصصوا ثلث أهدافهم لميدان التذوق والوجدان.

- الذوق والأدباء: وفي عالم الأدب والأدباء نصيب الأسد لفنون التذوق الفني الأدبي، وهي تتفرع إلى مهارات فرعية كثيرة ومتنوعة، منها ما يرتبط بتذوق الخيال والتصوير الفني، ومنها ما يرتبط بتذوق الأساليب على اختلاف أنواعها، وكذلك تذوق الألفاظ والمحسنات اللفظية والمعنوية.

4-2-أهداف التربية الذوقية:

- تنمية الشخصية المتكاملة وترقية مشاعرها.
- تنمية حواس الفرد وذكائه.
- الإثراء الجمالي والوجداني.
- تنمية الأخلاق.
- تنمية القدرة على التذوق الجمالي واكتشاف الميول والمهارات.
- الاستمتاع والتسلية وشغل أوقات الفراغ.
- تنمية الانتماء والوحدة الاجتماعية.
- زيادة الاستمتاع الجمالي والتذوق الفني.
- القدرة على تأمل الطبيعة واستخلاص القيم الجمالية منها
- تنمية القدرة على الإبداع (شعبان، 2016، ص28).

4-3-مجالات التربية الذوقية:

يمكن حصرها في عدة مجالات ودون الاسهاب فيها نذكرها باختصار وهي:

التربية على ضبط السلوك، في اختيار الأسماء، تربية اللسان والاستئذان، آداب التعامل مع الكبار (توفير الكبير والحفاظ على مشاعر وكرامة الصغير)، تربية الاتجاهات الإيجابية نحو العلم والعلماء والتأدب في مجالس العلم، التربية الذوقية في غض البصر واللباس المحتشم، الإحساس بالمسؤولية والأمانة، التذوق اللغوي وضبط الألفاظ (منصور، 2011).

4-4-آلية تنمية الذوقيات لدى الأفراد:

مادامت التربية الذوقية على هذا القدر من الأهمية، فإنّ السؤال الذي يفرض نفسه هو: كيف نرتقي بأذواقنا ونربي الذوقيات في غيرنا؟

إنّ الإجابة عن هذا السؤال تقتضي وضع برامج تربوية عملية متكاملة، وفق منهجية علمية، تحتاج إلى بحوث أو مراجع أو أدوات ووسائل وتقنيات تربوية متعددة، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، ومن ثم لا بد من خطة تربوية ترقى بأذواقنا وأذواق غيرنا، وخاصة بعد أن فسدت الأذواق في ظل الحياة الصاخبة المكتظة بالضغوط وإهمال الجماليات، ويمكن التركيز على العناصر التالية في مضامين تربية الأذواق لدى الافراد:

- غرس الإيمان ورفعه وتعهده بالرعاية؛ لأنّه يزيد وينقص، ولأهميته المتمثلة في تكوين شخصية تتمتع بسلامة صحتها النفسية، التي تجعل الإنسان يعيش سعيداً مستقراً راضياً مطمئناً، معتقداً أن فاته من نعيم الدنيا فهو على موعدة مع خالقه بنعيم الجنة.

- إحسان المربين – معلمين كانوا أم آباء – تربية المتعلمين تربية صحيحة، وبث الثقة والطمأنينة في نفوسهم، ونزع الخوف والجزع من نفوسهم، فإن ذلك يحرر المتعلم من تأثيرات الخوف والاضطراب والقلق والشعور باليأس والإحباط، وبقي المتعلم الانهيار النفسي، ويحقق ذاته ولا يحوها، فيتمكنوا من تذوق الجمال، وتمييز الجيد من الرديء في القول والعمل.

- الاهتمام بالتربية الأخلاقية، لأنّ العلاقة وطيدة بينها وبين الذوقيات، وتقوم هذه العلاقة على التأثير والتأثر، لذلك ركز الشرع العظيم على تربية الأخلاق الكريمة في الشخصية المسلمة، وأثنى على ذوي الأخلاق. قال تعالى مادحاً رسوله (ﷺ) (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم/ 4). وقد وصف نفسه (ﷺ) معتزلاً بربه الذي أدبه بقوله: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"، وقد أوجز النبي (ﷺ) غاية رسالته في قوله: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

- إبراز أثر الذوق على الصحة النفسية والجسمية: فهناك رجال بلغ بهم العمر عتياً، وتتنظر في وجهه تراه مشرقاً منيراً، فيه قسّمات الشباب، وينطق بالنضارة والحيوية، وما ذلك إلا أنّه يتذوق الجمال والخير، وتعكس أقواله وأعماله ومعاملاته ذوقاً رقيقاً؛ فهو يحب الخير لغيره، ولا يحمل حقداً لأحد، ويحمل بين جوانبه قلباً رقيقاً مليئاً بالحب والحنان والعطف والرأفة والشفقة، وكل ذلك مبعث السعادة والسرور والطمأنينة والسلامة. وعلى العكس من ذلك، تجد الحقود والشرير يعاني عُقداً نفسية، فتنعكس على وجهه بالكآبة والشقاء. فإذا ما تعرض هذا الحقود بالأذى لذلك الشخص المحب للخير، فإنّ الخير يصبر، فيكون ذلك علاجاً طبيعياً يجني منه ثمرات الدنيا والآخرة، في حين يضر الحسود نفسه وغيره (غفار، 2020، ص419).

ومما أثر عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أنّه أشد في هذا المعنى:

اصبر على مفض الحسود **** فإن صبرك قاتله
كالنار تاكل بعضها **** إن لم تجد ما تأكله

- تنمية المهارات الاجتماعية: فالإنسان مخلوق اجتماعي – كما قرر علماء نفس الاجتماع – إذ أنه يميل إلى الاجتماع بالآخرين، والتفاعل معهم، وهو حريص على أن ينتمي إلى جماعة الأسرة، أو العائلة والأقارب، أو الوطن، أو أصدقاء الخير، لذا ركزت كل الرسائل السماوية على بناء الفرد المؤمن والمجتمع الإيماني جنباً إلى جنب بالتوازي.

وقد أوصى الإسلام بوحدة أبنائه وترابط المجتمع المسلم ووضع آليات عملية لذلك، كصلة الرحم، وتبادل الزيارات، وعيادة المرضى، والمشاركة في الأفراح والأقراح، والاهتمام بالجار، وإغاثة الملهوفين والمنكوبين، والتسرية عن أهل المصائب والشدائد. وغير ذلك كثير.

وحتى في العبادات أكد الإسلام ضرورة الحياة الجماعية، فحث على الصلاة في جماعة بالمسجد في اليوم خمس مرات، وصلاة الجمعة، والعديد، وكذلك في الشعائر الأخرى، كالحج والعمرة وغيرهما.

ولا يخفى ما للمهارات الاجتماعية من تأثير في ذوقيات الإنسان، وخاصة إذا خالط أهل الذوق والخلق الرفيع.

- ممارسة الأنشطة التي توجد العلاقة بين الناس ومتابعة المربين للمتعلمين في ممارسة سلوك الذوق، والحرص على صحبة الخير، وتجنب أصحاب السوء.

- علاج أمراض النفس التي تؤدي إلى فساد الذوق، كالغرور، والإعجاب بالنفس، والتعالي، والتعصب، والعنصرية، والظلم، وفساد العاطفة... وغير ذلك مما يؤثر سلباً في ذوقيات الإنسان.

- الاهتمام بالفنون الجميلة على اختلاف صنوفها وألوانها، والتي بها يتعود الإنسان على تذوق الجمال والاستمتاع به.

- استثمار الحدائق تربوياً، لإكساب المتعلمين مهارات التذوق.

- إعادة النظر في مناهجنا التربوية: بحيث تركز على ذوقيات المعاملات والأقوال والأعمال، وأن يخصص مقرر لهذا المجال يسمى التربية الذوقية، في جميع المراحل التعليمية.

- كثرة التأمل والنظر في خلق الله وجمال صنعه، فإذا عرفه وذاقه تاققت نفسه إليه، كذلك الذي يحرص على أن يتجول في حديقة بيته، ليتأمل جمال النباتات والزهور (سمير يونس، سنة)

5-الحياء:

5-1- مفهوم الحياء لدى الأفراد وبخاصة الشباب في المجتمع المسلم.

رصدت العديد من الدراسات الاجتماعية السلوكيات الغريبة التي شاعت بين شبابنا، والتي تؤكد اختفاء قيمة الحياء من نفوس كثير منهم، فأوضحت دراسة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناحية في مصر تداول الألفاظ البذيئة والعبارات الخادشة للحياء على السنة 69% من شباب الجامعات .

كما أشارت دراسة اجتماعية أخرى إلى أن منظومة القيم قد تغيرت عند شباب الريف، حيث بدأت البنات يقلدن الأولاد الذكور في الملابس والتلفظ بعبارات جريئة لم يكن لها وجود من قبل بين أناس تربوا على القيم والمبادئ والأخلاق الكريمة .

ومن أبرز السلوكيات الغريبة التي رصدتها الدراسة مرافقة الفتاة للشباب في الطريق العام والتعامل معه بدون حواجز نفسية أو اجتماعية والاحتفاظ بأرقام هواتف للجنس الآخر من زملاء الدراسة أو العمل والتحدث إليهم دون خجل أو خوف، كما أن نسبة كبيرة من بنات الريف المصري بدأت ترتدي ملابس مثيرة للغرائز وهو أمر لم يكن له وجود من قبل. ورصدت دراسة اجتماعية نفسية في جامعة عين شمس المصرية سلوك الشباب من الجنسين داخل حرم الجامعة، وأشارت إلى وجود تجاوزات سلوكية عند 54% من الذكور و43% من الإناث، حيث تصدر عنهم سلوكيات لا تليق بالحرم الجامعي وتؤكد عدم التزام الشباب من الجنسين وخاصة البنات بقيمة الحياء.

تؤكد نتائج هذه الدراسات وغيرها كما يقول د. طه أبو كريشة الأستاذ في جامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية أن قيمة الحياء اختفت بالفعل من حياة كثير من الكبار والصغار، وحلت بدلاً منها رذيلة التبجح والتصرف بدون مسؤولية...ويقول: خلال رحلة واحدة في أي مدينة من المدن العربية الآن سترى ما لا عين رأت من سلوكيات غريبة وشاذة، وأثناء جولة قصيرة داخل جامعة عربية يختلط فيها الطلاب بالطالبات سترى كل العجب من سلوكيات وتصرفات غير مقبولة ولا تتفق إطلاقاً مع مبادئ وتعاليم

وأخلاقيات ديننا، ولا مع تقاليدنا المحافظة التي تربينا عليها والتي وضعت حدوداً وحواراً بين سلوكيات الأولاد والبنات.

5-2-قيمة الحياء لدى الفرد:

إن السلوكيات الغربية والصور الشاذة التي نرصدها يومياً في شوارعنا وبناتنا وجامعاتنا ومراكزنا التجارية وأسواقنا تفرض علينا الآن أن نستعيد قيمة الحياء، تلك القيمة النبيلة التي تضبط سلوكيات الكبار والصغار بميزان الأخلاق الكريمة والسلوك الحميد، فالحياء خلق كريم يدفع صاحبه إلى تجنب كل سلوك قبيح أو تصرف غير لائق، وعندما تسود بين شبابنا هذه القيمة النبيلة فإن كثيراً مما نراه منهم ونسمعه عنهم سيختفي من حياتهم وتصرفاتهم اليومية.

وعن حرص الإسلام على تعميق قيمة الحياء في حياة المسلمين يقول د. أبو كريشة: الحياء في المنظور الإسلامي ليس مجرد فضيلة سلوكية، بل هو عنصر أساسي من عناصر الإيمان ولذلك قال (ﷺ) في شأنه "الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"، وحديث (ﷺ) يوضح لنا حقيقة مهمة وهي أن الإيمان ليس مجرد عقيدة قلبية، بل هو إلى جانب ذلك سلوك عملي يرتبط بالحياة ارتباطاً وثيقاً، ولذلك نجد كثيراً من آيات القرآن الكريم تربط الإيمان بالعمل الصالح وبالسلوك الحميد.

5-3-بين الحياء والخجل: سلوكيات مقبولة وأخرى مرفوضة:

يفرق د. مبروك عطية الأستاذ في جامعة الأزهر والداعية المعروف بين الحياء والخجل ويؤكد أن حياء المسلم صفة حميدة ينبغي ألا تفارقه في كل سلوكياته العامة والخاصة، وهي تجلب له الخير ورضا الناس ومحبتهم بعد رضا الله عز وجل، ولذلك قال رسول الله (ﷺ) في الحديث الصحيح "الحياء خير كله، أما الخجل فهو صفة مذمومة"

فالحياء ليس مجرد أداة مانعة من فعل السلوكيات المشينة والتصرفات الغربية التي ينفر منها الأسوياء فحسب، بل الحياء الذي أمرنا الإسلام بالتحلي به يمنع الإنسان من كل سلوك شاذ غريب ويدفعه في الوقت نفسه إلى كل ما هو حميد ومرغوب من السلوكيات التي تجد قبولاً ورضاً وإعجاباً من الآخرين.

ويرى د. مبروك عطية أننا في أمس الحاجة الآن إلى غرس قيمة الحياء في نفوس الأجيال الجديدة لكي نربيهم على الفضائل ونواجه ما نراه شاذاً وغريباً في تصرفاتهم، فبالحياء نقضي على كل مظاهر المعاكسات في شوارعنا وبناتنا وجامعاتنا ومراكزنا التجارية وأسواقنا، وبالحياء نواجه كل مظاهر البلطجة التي أفسدت حياتنا، حيث يعتقد كثير من الناس وهم مخطئون أنهم بالصوت العالي والتلفظ بما هو قبيح سيأخذون حقوقهم أو سيحصلون على ما يريدون وبالحياء نواجه رذيلة النفاق التي شاعت في حياتنا وأصبحت وسيلة في أيدي البعض للحصول على حقوق الآخرين (زين سليم، 2022)

واستعادة قيمة الحياء تبدأ من داخل البيت، فالتربية الإسلامية الصحيحة تغرس هذه القيمة في نفوس الأبناء وسلوكياتهم منذ نعومة أظفارهم، لكن للأسف التربية الآن في المنازل لم تعد تولي قيمة الحياء ما تستحق من اهتمام، بل نجد كثيراً من الآباء والأمهات يواجهون هذه القيمة في نفوس أبنائهم بكل عنف، ويحرضون أبناءهم على "البجاجة والبلطجة" تحت شعارات ومفاهيم غريبة ومرفوضة، فالبعض يرى أن الطفل أو الشاب الحي يضيع حقه بين أقرانه الآن، وهذا فهم خاطئ وقناعة زائفة وأسلوب تربية مدمر.

وهناك فرق بين الحياء والخجل، فبينما نرى الحياء قوة ضابطة دافعة للخير مانعة للشر، فإن الخجل ظاهرة مبكرة في عمل الطفل تعبر عن حيرة وخوف ودهشة وقلق، لذا يجب على المربين تخليص الطفل من الخجل من خلال دمج مع أقرانه ليتجاوز التردد ويمتلك الشخصية القوية والسوية، فالحياء هو الدرة التي يجب صيانتها ورعايتها لميلاد شخصية جديدة فاعلة (منصور، 2011، ص 15)

5-4-صور الحياء في المجتمعات:

-الحياء من الله: فالحياء في أسمى منازلها وأكرمها يكون من الله- عز وجل- فنحن نطعم من خيرهِ، ونتنفس في جوههِ، وندرج على أرضهِ، ونستظل بسمائهِ، فالإنسان بإزاء النعمة الصغيرة من مثله يخزي أن يقدم إلى صاحبها إساءة، فكيف لا يوجب الناس من الإساءة إلى ربهم الذي تغمرهم الآوهُ من المهد إلى اللحد، وإلى ما بعد ذلك من خلود طويل.
إن حق الله على عباده عظيم، ولو قدره حق قدره لسارعوا إلى الخيرات يفعلونها من تلقاء أنفسهم، وباعدوا عن السيئات خجلاً من مقابلة الخير المحض بالجحود والخسة.

فعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله (ﷺ): "استحيوا من الله حق الحياء" قال: قلنا: يا نبي الله، إنا نستحي والحمد لله. قال: "ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله حق الحياء" (رواه الترمذي)

وعن أبي واقد الليثي أن رسول الله (ﷺ) بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل نفر ثلاثة، فأقبل اثنان إلى رسول الله (ﷺ) وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله (ﷺ)، فأما أحدهما فرأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله (ﷺ) قال: "ألا أخبركم عن نفر الثلاثة؟ أما أحدهم: فأوى إلى الله، فأواه الله، وأما الآخر: فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر: فأعرض، فأعرض الله عنه"

إن الإنسان في حضرة الرجال الذين يجلبهم ويحرص على استرضائهم يضبط سلوكه ضبطاً محكماً، فيتكلم بقدر، ويتصرف بحذر، والمسلم الذي يعرف من تعاليم دينه أنه لا يغيب عن الله أبداً؛ لأنه ماثل في حضرته ليلاً ونهاراً، وينبغي أن يكون تهيبه لجلال الله أعظم، وتأدبه بشرائعه أحكم؛ وذلك معنى الأثر: "استحي من الله كما تستحي من أولى الهيبة في قومك" (خلق المسلم)

-الحياء من الملائكة: فالإنسان الذي يستحي من الله- عز وجل- يستحي من الملائكة، فلا يقدم على فعل السوء، أو على ما يمس حياة الملائكة، ومن الأحاديث الواردة في هذا الصدد: ما روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: "ليستحي أحدكم من ملكيه اللذين معه، كما يستحي من رجلين صالحين من جيرانه، وهما معه بالليل والنهار" (كنز العمال)

وعن ابن عمر-رضي الله عنهما-أن رسول الله (ﷺ) قال: "إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط، وحين يفضي الرجل إلى أهله، فاستحيوهم وأكرموهم" (سنن الترمذي، كتاب الأدب)، فإذا بلغ الإنسان درجة الحياء من الله وملائكته، استحيت منه ملائكة الرحمن، كعثمان بن عفان رضي الله عنه.
وعن عائشة رضي الله عنهما قالت: كان رسول الله (ﷺ) مضطجاً في بيتي، كاشفاً عن فخذه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك فتحدثت، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدثت، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله (ﷺ) وسوى ثيابه فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتس له، ولم تباله، ثم دخل عمر، فلم تهتس له، ولم تباله، ثم دخل عثمان، فجلست، وسويت ثيابك؟ فقال: "ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة"

-الحياء من الناس: ويكون ذلك بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح، ورعاية حقوقهم، فالمرء إذا اكتملت مروءته استحيا من الناس، فعف لسانه وصان جوارحه.

ومن الحياء من الناس، أن يعرف لأصحاب الحقوق فضلهم، فيوقر كبيرهم، ويتواضع لعالمهم، ويخفض جناحه لمن هم دونه في الفضل، وفي الحديث: "تواضعوا لمن تعلمون منه" (رواه الطبراني)

وكذلك "اللهم لا يدركني زمان لا يتبع فيه العليم، ولا يستحيا فيه من الحليم" (رواه أحمد)
وأيضاً قوله (ﷺ): "إذا كنت في قوم فتصفت وجوههم فلم تر فيهم رجلاً يهاب في الله- عز وجل - فاعلم أن الأمر قد رق" (رواه أحمد)

وروى أن حذيفة بن اليمان أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا فتنكب الطريق عن الناس، وقال: لا خير فيمن لا يستحيي من الناس.

وقال يشار بن برد: وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة، وحب الثناء، ولذلك قال رسول الله: "من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له"

وروى الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ) «إن مروءة الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه وإلفه وجليسه»

وذلك لأن الحياء يدعو صاحبه إلى مكارم الأخلاق، وينهاه عن رذائلها، والفحش طريق كل فساد، ومن ثم فإن نزع الحياء هو بداية الهلاك والعياذ بالله.

وهناك من قسم أنواع الحياء إلى عشرة أوجه وهي:

- حياء جنائية ومنه حياء آدم من ربه لما فر هارباً في الجنة.
- حياء التقصير ومنه حياء الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار ولا يفترون.
- حياء الاجلال وهو حياء المعرفة، وعلى حسب مستوى معرفة العبد لربه يكون مستوى حياءه.
- حياء الكرم من مثل حياء الأنبياء وحياء الحشمة من مثل حياء علي بن ابي طالب كرم الله وجهه.
- حياء الاستحغار واستصغار النفس ومنه حياء العبد من ربه حين الدعاء بسبب ذنوبه أو استعظاما لمسؤوله.
- حياء المحبة كحياء المحب لمحبيه وحياء العبودية ممتزج بالخوف والخشية.
- حياء الشرف والعزة وحياء المرء من نفسه (النفوس الشريفة العفيفة) من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون (بن الجار الله، 1990، ص22-25).

5-5- أثر قيمة الحياء على سلوكيات الأفراد:

يقول د. أحمد عمر هاشم أستاذ السنة النبوية في جامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية عن قيمة الحياء وتأثيره في شخصية الإنسان؛ من سمات شخصية المسلم الحياء، فالمسلم إنسان يحافظ على عقيدته وشخصيته وكرامته، وخلق الحياء قيمة تبعث على اجتناب القبيح وتمنع من التقصير في حق ذي الحق، ويعصم الحياء صاحبه من مزلق الشر ويفضي به إلى كل فضيلة وبر ومعروف، وكل ما في الحياء من آثار إنما يتركز في الخير، ولذا جاء في الحديث الحياء خير كله كما أن الحياء يترتب عليه عمل الخير والكف عن الشر، والسير في الطريق المستقيم فلا يمكن للمسلم المتخلق بالحياء أن يفعل شراً أو منكراً، لأن الحياء لا يأتي إلا بكل خير، فهو باب عظيم من أبواب الطاعة وصنائع المعروف.

وقد جاء في الحديث الحياء لا يأتي إلا بخير لأنه يوجه صاحبه إلى المعروف والطاعة، ويمنعه من كل منكر ومعصية، وتوضيح الحياء بأنه باعث على اجتناب القبيح ومانع من التقصير هو المعنى الحقيقي الشرعي الذي تمثله شخصية المسلم، أما حين يمتنع إنسان من قول الحق، أو من فعل الخير متعللاً بما يزعم من حياء فليس هذا من الدين، ولا من الحياء في شيء بل هو عجز ومهانة، ولا ينشأ إلا من ضعف الدين.

ويتضح من هذا أن شخصية المسلم يجب أن تتسم بأعلى أنواع الحياء وهو الحياء من الله تعالى، وذلك بطاعته ومراقبته في السر والعلانية، وهذا هو المراد بقول الرسول (ﷺ) "استحيوا من الله حق الحياء قالوا: إنا نستحي والحمد لله، فقال: ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة، ترك زينة الحياة الدنيا، وأثر الآخرة على الأولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء".

هذا كله يدعو إلى ضرورة أن تبذل جهود الأسرة والمؤسسات الدينية والتربوية والإعلامية لاستعادة قيمة الحياء وغرسها في نفوس أبنائنا، فهذه القيمة سنحارب كثيراً من التجاوزات السلوكية التي تزعنا الآن. وعلينا أن ندرك أن صاحب الحياء عادل لا يظلم، أمين لا يغش، صدوق لا يكذب، وفي لا يغدر، مخلص لا ينافق، كريم لا يبخل، رحيم لا يقسو، فشخصيته متحلية بالفضائل متخلية عن الرذائل.

أما التاجر الذي يغش فغشه من عدم الحياء، والذي يتعامل بالظلم أو يحكم به فظلمه من عدم الحياء، والذي يكذب في حديثه فمن عدم الحياء، وهكذا نرى أن الحياء هو أصل كل فضيلة وأن التجرد منه يؤدي إلى كل رذيلة.

5-6- آثار الحياء على الأفراد المجتمع المسلم:

- 1- تقوية الإيمان: ودليل ذلك قول النبي (ﷺ): "الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر".
- 2- اكتساب الصفات الكريمة: ومن هذه الصفات الوقار والسكينة.

3- محو الذنوب و عفو الله: ودليل ذلك قوله تعالى في الحديث القدسي: "يا ابن آدم، إنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك، وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك، ومحوت من أم الكتاب زلاتك، وإلا ناقشتك الحساب يوم القيامة".

4- الوصول إلى درجة الإحسان: فالحياء يتحقق في الإنسان ويتأكد إذا استشعر أن الله مطلع عليه ويراقبه، قال تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد/ 4)، وقال أيضاً: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر/ 19)، وخاصة إذا علم العبد أن الملائكة تكتب كل ما يتلفظ به (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق/ 18)، وكذلك فإن الملائكة تكتب كل ما يفعله: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) (الانفطار/ 10-12).

5- وقاية النفس من الهبوط: فالحياء حصن للمسلم، يقيه شرّ الوقوع في الهلاك، ويشكل وازعاً ذاتياً وضميراً حياً داخل الإنسان، فيأخذ بيده إلى طريق الخير، ويبعده عن طريق الغواية والمعاصي.

6- الأثر النفسي للحياء: الحياء يؤدي إلى طمأنينة النفس، وتتوافق النفس والحياء من داخلها، لأنه لا يترتب عليه حرج أو خوف من الآخرين، ومن ثم فإن الحياء يقي من الاضطرابات النفسية، ويمتعتها بصحة نفسية سليمة.

6- آليات تجسيد كل من التربية الذوقية والحياء في المضامين التربوية:

- تقوية الإيمان: فالإيمان للجوارح كما يقول ابن القيم - يرحمه الله - "كالملك للجنود، إن أمر بخير صنعت خيراً، وإن أمر بسوء وقع السوء".

- الاستعانة بالله تعالى: فالتقرب إلى الله والتضرع بأن يرزقنا التقوى والحياء من الوسائل الفعالة في إكساب الفرد الحياء.

- تجنب الألفاظ والأعمال البذيئة، واجتناب تبديل الملابس على مرأى من الآخرين، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ) (النور/ 58).

- استخدام الكنية والتعريض والتلميح - لا التصريح - إلا فيما يحقق مصلحة شرعية.

- الإكثار من الاطلاع على آيات الحياء والأحاديث والآيات التي تناولته ومدارسة ذلك كله.

- التدرّب على التحلي بالحياء على طريقة: "إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم".

- المحافظة على العبادات المفروضة، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر مثلاً، وكذلك بقية العبادات.

- التأسي برسول الله (ﷺ) في هذا الخلق وكذلك أصحابه والصالحين.

- اعتزال البيئة الموبوءة بضعف الحياء، واختيار الصحبة الطيبة.

- مدارسة أسماء الله تعالى التي تشعنا بمرآة سبحانه، وذلك مثل: الشهيد، والسميع، والرقيب، والبصير... إلخ، قال حاتم الأصم: "تعهد نفسك في ثلاث: إذا عملت فاذا ذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذا ذكر سمع الله منك، وإذا سكت فاذا ذكر علم الله فيك (كردي، 2010)

7- بناء سيكولوجية الاحتشام:

يذكر في الأثر أن أسماء دخلت على النبي بعد نزول آية الحجاب وفرضه على المسلمات بفترة زمنية والتزمت النساء المسلمات بالحجاب ولم ينبه أحد الفتيات في سن أسماء بنت أبي بكر إلى الحجاب فلما شاهدها الرسول "الإنسان الموجه التربوي" لم ينهرها ولم يغضب ولم يعتبرها ارتكبت جريمة نكراء لأنه علم أنه يبني ما هو أهم من مجرد الملابس، إنه يبني شيئاً مغايراً في نفسية هؤلاء البنات الصغيرات وهو الحشمة والاحتشام فهو يعبر لها أنها في مرحلة سنوية جديدة وأنها قد كبرت ونضحت لذا استلزم الأمر أن تتحلى نفسياً بالاحتشام حتى أمام صديق والدها وزوج أختها بل وأمام الرسول الكريم نفسه.. تشعر بالرفق والهدوء في الكلمات والتوجيه.

ليظهر الأمر أكثر وضوحاً في موقف آخر حيث تركب وراءه فتاة صغيرة وهو في طريقه إلى الغزو عندما ينزل من على دابته للراحة تستحي الفتاة أن تنزل فيدرك الرسول الأمر بفطنته وأنها حاضت للمرة الأولى ويعهد لأم المؤمنين لرعايتها لتنتهي الغزوة ويوزع الرسول الغنائم ثم لينادي على الفتاة ليعطيها سهماً من الغنائم، ليوجهنا الرسول الكريم أننا نبدأ في توجيهنا لبناتنا بالحقوق والميزات قبل أن نطالبهن

بالواجبات فلم يذكر الحديث أن الرسول قد حدثها عن الحجاب أو أمرها به، بل قدم الرسول الميزة قبل أن يقدم قائمة الممنوعات (أبوخليل، 2017).

ان استعراض منهج الرسول للتعامل مع الفتيات الصغيرات وبناء ثقافة الاحتشام في نفوسهن بمنتهى الرفق والهدوء والتدرج هو الرد على من يتصور أن الحجاب يفرض على الفتيات بالقوة بمجرد البلوغ دون تمهيد نفسي كاف واستعداد من الفتاة لاستقبال الأمر والتعامل معه كجزء من ثقافتها وبنائها النفسي. إن الاحتشام بناء نفسي متكامل يبني بهدوء وتدرج ورفق حتى يصبح جزء من سيكولوجية الفتاة ليصبح ثقافة مجتمع ولذا فهو لا يفرض بأي قوة ولا أي سلطة لأنه جزء من بناء النفس الطبيعية إذا أخذ حقه في النمو عبر أطوار الزمان والحياة ليصبح بحق عنواناً للإسلام والمجتمع المسلم دون إفراط أو تفريط **خاتمة:**

في الأخير نسوق قصة رائعة في الفكر التربوي الإسلامي تؤسس للتربية الذوقية للطفل : ينبغي أن يعود الطفل للتلف في الكلام مع من يعاشره ، وأن يعلم كيفية الجلوس ويمنع من كثرة الكلام وأن يبتدئ بالكلام ويعود ألا يتكلم إلا جواباً ويقدر السؤال وأن يحسن مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سناً وأن يقوم لمن هو فوقه سناً ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب، وينبغي أن يعود ألا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتنأب بحضرة غيره ولا يستدير لغيره ولا يضع رجلاً على رجل (الغزالي، د سنة، ص 73)

من خلال ما تم التطرق إليه في الورقة البحثية نوصي بما يلي:

- ضرورة تضمين المناهج التربوية للتربية الذوقية للطفل في أنشطتها قصة ومسرحاً وأنشودة.
- ضرورة قيام الوسائط التربوية بتلقين الطفل مبادئ التربية الذوقية التي تساهم في غرس قيم الحياء والاحتشام منذ الصغر.
- التحلي بالحياء (قولا وسلوكاً) كسلوك حضاري مدعم للقيم الإسلامية ومحاربة الخجل خاصة عند الأطفال.
- تحصين الأفراد من الوقوع في بيئات ملوثة بسلوكات تنم عن قيم بعيدة عن معايير المجتمع المسلم.
- الرقابة للإعلام الهدام ومواقع التواصل الاجتماعي التي تعتبر المصدر الأول للسلوكات المهددة لقيم الحياء في المجتمع المسلم.
- إعادة الاعتبار لظاهرة اللباس الشرعي وليس الموضة باعتباره السبيل الأول للاحتشام.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم

- أبوخليل، عمرو. (2017). سيكولوجية الاحتشام، الرابط: <https://www.aljazeera.net/blogs/2017/7/5>
- بن الجار الله، عبد الله. (1990). الحياء وأثره في حياة المسلم.
- حدادو، فطيمة وعمراني بلخير. (2022). التنشئة الإسلامية الأسرية في ظل التغيير الاجتماعي قيمة الجياء والاحتشام نموذجاً، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، 13(1)، (572-527).
- رحالي صليحة. (2007). القيم الدينية والسلوك المنضبط، الكشافة الإسلامية الجزائرية نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.
- زين، سليم. (2022). الاحتشام، آخر تحديث لموقع: 28 أبريل 2022 الساعة 7.18 يوجد على الرابط: <https://mawdoo3.com>
- سمير، يونس(دسنه). أهمية التربية الذوقية في حياتنا يوجد على الرابط: <https://www.balagh.com>
- السويدي، وضحة. (1987). برنامج مقترح لتنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية لدى تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة.
- شبل، بدران. (2003). التربية والمجتمع، 2ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
- شبل، بدران ومحفوظ، أحمد فاروق. (2002). أسس التربية، 4ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- شعبان، عبير عبد الله. (2016). التربية الجمالية ودورها في تنمية الشخصية الإبداعية، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، ع6، (جزء1)، كلية التربية، جامعة المنوفية مصر، (الصفحات).

- صوكو، سهام. (2009). واقع القيم لدى المراهقين في المؤسسات التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.
- عربيات، أحمد عبد الحليم والمقوسي، ياسين علي. (2019). أثر القيم الدينية في ضبط السلوك الاجتماعي وعلاقتها ببعض المتغيرات لدى كلية العلوم التربوية في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، المجلد 28، العدد 5، (258-287).
- غفار، محمد. (2020). التربية الجمالية وأهميتها في تنمية المواهب الإبداعية للفرد، مجلة النص، (2)7، (431-412).
- كردي، أحمد. (2010). الحياء، موجود على الرابط: <http://forum.sh3bwah.maktoob.com>
- منصور، مصطفى. (2011). التربية الذوقية في الإسلام، ورقة مقدمة لليوم الدراسي: أطفالنا والرعاية الصحية والتربوية، الجامعة الإسلامية غزة.